اسم المصدر : الجزيرة
التاريخ: 17-05-2012 رقم العدد: 14476 رقم الصفحة: 75 مسلسل: 335 رقم القصاصة: 1

ذكرى البيعة السابعة

منجزات قائد عظيم ووفاء شعب كريم

أ.د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

ففي شهر جمادى الثانية من كل عام نحن على موعد يترقبه الجميع، وننتظره لنعيد إلى أذهاننا ذكرى متجددة، عزيزة على كل قلب كل مواطن شرفه الله بالانتماء إلى هذا الوطن الكبير، والمملكة الغالية، مملكة الحب والإنسانية، وها نحن في السادس والعشرين من جمادى الثانية من هذا العام 1433هـ تمر علينا الذكرى السابعة لبيعة العز والوفاء بيعة اللحمة والتعاون والصفاء، بيعة الحب والإخاء، بيعة نجدد فيها منهج سلف الأمة من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتابعيهم بإحسان، حينما بايعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعلوا هذه البيعة منطلقًا لكل عمل يحقق مقاصد الشريعة في الجماعة والإمامة، يا لها من مصطلح عظيم، ورابطة متينة قوية، ذات أبعاد شرعية ووطنية، وتحمل في طياتها دلالات كبيرة، تمثل في عقيدة يتمسك بها المسلم في علاقته بولاة أمره، كما أن بسببها صار هذا الاجتماع والوحدة، وأثمرت منجزات نوعية هيأ الله لها هذا الرجل الإنسان، والملك الفذّ، والإمام العادل، والوالي الصالح، خادم الحرمين الشريفين الملك/عبد الله بن عبد العزيز -حفظه الله وأمد في عمره-، اختصر فيها مسافة الزمن، وتحدثت بمنجزاته الركبان، وحقق لوطنه وشعبه ما تعجز لغة الإحصاء أن ترصده، وتواطأت الألسن بالثناء عليه، واجتمعت القلوب على محبته، وارتفعت الأكف ضراعة إلى الله أن يحفظه مليكا مسددًا، وقائدًا موفقًا، نعم، إنها ذكرى بيعة إمام المسلمين، خادم الحرمين الشريفين، المليك المفدى، سليل الأسرة الماجدة،

اسم المصدر : الجزيرة

التاريخ: 17-05-2012 رقم العدد: 14476 رقم الصفحة: 75 مسلسل: 335 رقم القصاصة: 2

ومن أبرز أبناء موحد هذه الجزيرة، خادم الحرمين الشريفين الملك/ عبد الله بن عبد العزيز -حفظه الله وأمد في عمره على الطاعة والإيمان- نتذكر هذه البيعة لأنها تعد امتدادًا تاريخيًا لهذه الدولة المباركة، التي تأسست على نصرة الكتاب والسنة، والقيام على أصل الأصول، وأساس الأمن، وأوجب الواجبات: توحيد الله جل وعلا بصورته الصافية النقية كما نزلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حامية هذا الأصل مما يشوبه ويكدره، محققة لجوانبه، محاربة كل مظاهر الشرك والبدع والانحراف، ومع تمسكها بهذه الثوابت العظيمة التي هي أساس العز والتمكين، وسبب كل خير عميم إلا أن ذلك لم يجعلها بمنأى عن مظاهر التطور والتقدم، ومعالم الحضارة، بل إن تمسكها بهذا الدين بوسطيته وشموليته ومقاصده، مكنها من التعامل مع متغيرات العصر، وتفاعلات الواقع، آخذة بكل سبب يؤدي إلى النهوض والارتقاء، وبلوغ الريادة والعالمية، فهذا المنهج الرشيد، والمسلك السديد هو ما قامت عليه دولة التوحيد لا سيما في هذا الدور الذي أقامه وشيد بناءه ووحد أجزاءه وحدة لا يعرف التأريخ المعاصر لها مثيلاً الملك المؤسس الباني المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه، واستمر عليه أبناؤه البررة، آخذين بالثوابت التي قام عليها هذا الكيان، وتوحد عليها أبناء هذه الجزيرة، إنني أقول وأنا أستشعر مرور سبع سنين على ذكرى بيعة مليكنا المفدى وقد مرت كلمح البصر، إنها سنوات خير وبركة على هذا الوطن الأمن ومواطنيه، كما هو الشأن في عموم ولاة أمرنا -رحم الله من قضى، وحفظ الله من بقي-، ولست هنا بصدد رصد الإنجازات الملكية لخادم الحرمين الشريفين أو حشد المقام بأرقام وإحصاءات مع أهمية كل ذلك، بل إن رصدها وقراءة متأنية في أبعادها لمما يستحق الدراسة، ولكني أردت أن تكون هذه الأسطر تعبيرًا صادقًا عن مشاعري كمواطن، وأحد من شرفهم ولاة الأمر بخدمة هذا الوطن وولاة أمري عبر مؤسسة تعليمية رائدة، وجامعة من أعرق الجامعات، فأجد مزيجًا من المشاعر التي لا أملك إخفاءها وإخال أن كل مواطن يحملها تجاه ولي أمرنا، وباني نهضتنا، وحامي وحدتنا خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله وأعزه ونصره.

إنني أعترف أن البيان عاجز، والبلاغة قاصرة، والأحرف لا تفي بمكنون الفؤاد، كيف لا والمعبر عن الفرحة والسرور بذكرى بيعته عظيم من عظماء المسلمين، وإمام فذ، ووالٍ عادل، وحاكم رشيد، والحديث عن منجزاته في هذه الحقبة الممتدة بإذن الله يتطلب مجلدات، لأنها تحققت وعاشها المواطنون واقعًا حيًا، وتزداد أهميتها إذا ما استشعرنا الظروف التي أحاطت بنا، والفتن التي عصفت بدول، وغيرت أحوالاً، وبدلت واقعًا، ونحن بحمد الله وفضله ومنته وتوفيقه نعيش لحمة قوية، ومحبة متبادلة بين الراعي والرعية، نعتصم بالله ونحتمي بحماه أن يحفظ علينا هذه الوحدة، وأن لايغير علينا، أو أن يصل دعاة السوء والفتنة إلى شيء مما راموا تحقيقه، وحينما نتأمل هذه المسيرة المباركة، والتأريخ الحافل بالمنجزات لهذا الرجل العظيم خادم الحرمين الشريفين -أيده الله- نجد أنها تثبت أن قيادته لهذا البلد المعطاء، وحكمه الرشيد الممتد بإذن الله كان تتمة منجزات سجلها له التأريخ، وملحمة خاضها منذ أن اختاره أخوه جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - رئيسًا للحرس الوطني عام 1383هـ ليضع خبرته القيادية والعسكرية والسياسية في تشكيل وتطوير هذا المرفق الهام، ويستمر عطاء الملك الإنسان، وتبرز مواهبه وقدرته الفذة فيختاره الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - نائبًا لرئيس مجلس الوزراء إضافة إلى رئاسة الحرس الوطني عام 1395هـ وبعد مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - بويع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز - يحفظه الله - حينها وليًا للعهد ويصدر أمر ملكي في اليوم نفسه بتعيينه نائبًا أول لرئيس مجلس الوزراء، ورئيسًا للحرس الوطني، ووليًا للعهد ويكون - يحفظه الله - نعم العضد والمعين، ولي ناصح، وسند متين للملك الراحل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله -.

وفي يوم الاثنين 26-6-1426هـ تمت مبايعته ملكًا للمملكة العربية السعودية، لتتوج تلك العطاءات بهذه المناسبة التاريخية، مناسبة البيعة التي تضع الرجل المناسب في مكانه المناسب، ولتتوالى الإنجازات لا على المستوى الداخلي فحسب، وإنما على كافة الأصعدة، ونعيش ثمار تلك الملحمة

اسم المصدر : الجزيرة

التاريخ: 17-05-2012 رقم العدد: 14476 رقم الصفحة: 75 مسلسل: 335 رقم القصاصة: 3

واقعًا نتفيأ ظلاله، ونحمد الله على فضله وكرمه، ونسأل أن يحفظ علينا هذه النعم من الزوال.

وفي ظل الفتن التي أشرنا إليها لم تكن بلادنا العزيزة المملكة العربية السعودية بمنأى عن هذا الواقع، بل تداعى أعداء هذه الوحدة في الداخل والخارج للوصول إلى تحقيق مآربهم ولو بخلخلة أمن هذا الوطن أو بالوصول إلى زعزعة ثوابته، وتشكل تلكم الدعوات مهددات تستهدف أمن هذا الوطن ووحدته ولحمته، فتتجسد الحكمة والحزم والحنكة والسياسة والدبلوماسية التي انعكست في مواقف أثبتت للتأريخ أن أمة يقودها هؤلاء العظماء لأمة معطاء، وأن وحدة يحميها من يتحمل المسؤولية أمام الله ثم أمام شعبه لهي أمة محفوظة بحفظ الله، مصونة بأمان الله، وتثبت تلك المواقف التي تحمل فيها ولاة الأمر مسؤوليتهم، ووعى الشعب الكريم دورهم، فالتفوا حول قيادتهم، ونبذوا كل دخيل من الفكر وكل داعية سوء لتبقى هذه الوحدة التي تبنى على الأصول الشرعية، والمقاصد المرعية لا تؤثر فيها عواصف الفتن، ولا توالي المحن بإذن الله، تثبت عوامل الوحدة، ومواقف الأفذاذ من الرجال.

ومن هنا فإن أول ما يستحق النظر والتأمل ما حبى الله به مليكنا من سمات شخصية كانت وراء تلك المواقف العظيمة، فمن يرصدها يترسم في هذا الملك الإنسان الحنكة والحصافة، والنزعة العربية الإسلامية والمحبة الصادقة لشعبه ووطنه، ومع ذلك البساطة المتناهية، التي يعيش فيها مع شعبه وكأنه واحد منهم، ويحتل الوطن والمواطن سويداء القلب، فالوطن يعيش مع ملكينا كل لحظة من لحظات عمره المديد - بإذن الله - لا يرضى له إلا الصدارة، والرقي والحضارة، والأخذ بكل معطيات الحياة المعاصرة وما يضمن الأمن والاستقرار، مع الحفاظ على الثوابت والأسس التي قامت عليها هذه الدولة المباركة، ولذلك حفظ التاريخ لولي أمرنا - أيده الله - بأن أمرين لا مساومة عليهما، الدين والوطن، وأما المواطن فهو بالنسبة لمليكنا خصوصًا ولولاة أمرنا عمومًا الاستثمار الأمثل، والركيزة الأساس لكل نهضة وتقدم فكل خطط التنمية، وكل مقدرات الدولة ومكتسبات الوطن تسخر لهذا المواطن، فهذه السياسة الداخلية هي ما يميز ولاة أمرنا - أيدهم الله - فلذا فاخرت أمم بالديمقراطية فإن رصيد ولاة أمرنا من ذلك ما يمثل الصورة المثالية، والمنهج الإسلامي، إذ يصل المواطن إلى أعلى مسؤول في الدولة من خلال سياسة الأبواب المفتوحة، ولذا فإنه لا يستغرب ذلك الرصيد الشعبي من المحبة والولاء واللحمة لمليكنا - أيده الله - ولتهنه الخيرية التي أخبر بها المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال: «خيار أئمتكم الذين تحبوهم ويحبونكم وتصلون ويصلون لكم»، وهو رصيد يقرأه الراصد في كل المجالات، ويعبر عنه المواطنون بعفوية ودون أية حواجز، وهذا لاشك من أسباب السعادة ومظاهر الخيرية، وعلامات التوفيق والسداد.

إنني في ذكرى البيعة مع إبداء المشاعر التي لا يمكن لمواطن إخفاءها أود التنبيه على أن هذه الذكرى تحمل بعدًا شرعيًا يجب أن يبرز ويتم توظيفه لمحاربة مظاهر الشرور والفتن والانقسامات، فكم هو معنى عظيم نتذكره بمرور هذه الأيام، حينما نتذكر هذا المصطلح الذي يعد العلاقة بين ولاة الأمر ورعيتهم، فهو شأن يربطنا بعهد السلف الصالح الذين ينطلقون في أمورهم من النصوص الشرعية، والمقاصد المرعية، فيعدون البيعة هي منطلق الجميع في الالتزام بمقتضاها، فهي بالنسبة للرعية عهد مع الله أن يكون المواطن متعبدًا لله بما شرعه من السمع والطاعة والنصح والتعاون والتعاضد والتكاتف والألفة والوحدة والاجتماع، وكف أذى المعتدين، وشرور الخارجين، وكيد المفسدين، وتتم بهذه العلاقة مقاصد الشرع في الجماعة والإمامة، وتتجسد في أرض الواقع دولة مثالية، يحكمها شرع الله، ويوجهها حكم الله، وهي بالنسبة للراعي مسؤولية كبرى بمقتضاها يقيم شرع الله في عباد الله، ويسوس رعيته بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وينهج نهج سلف الأمة، وهذا ما يجده المنصف في واقع وطننا الحبيب في علاقته بولاة أمره، ومن هنا فالبيعة ليست مجرد ذكرى، وإنما هي حدث يجدد في كل مواطن معاني الوفاء والإخلاص والمسؤولية الكاملة تجاه كل ما يكون من المصالح الكبرى، والمكتسبات الوطنية في مجالات الحياة المختلفة، والحمد لله أن هذه المعاني تتحقق بصورتها

اسم المصدر : الجزيرة

التاريخ: 17-05-2012 رقم العدد: 14476 رقم الصفحة: 75 مسلسل: 335 رقم القصاصة: 4

المثاليـة في واقعنا، فولاة الأمر لا يعيشـون في أبراج عاجية، ولا يفصلهم عن شـعبهم حواجز السلطة والمسـؤولية، بـل هـم في قلوب رعيتهم، والشـعب يعيش في قلوبهم، وتحمل قرارات مليكنا وعباراته ومشـاعره الحب الكبير للشعب العظيم، والتقدير لكل من أسهم في أي عمل، خصوصًا ما يكون سببًا في درء الفتنة، وتحقيق أعلى وأجل معاني الوحدة، وفي مقدمة الشـعب العلماء في هيئـة كبار العلماء وخارجها، الذين تحملوا مسـؤولية الكلمة وأمانة العلـم، وكان لمواقفهم في أيـام الأزمات والمحن أثر قوي في توحيد الكلمة وقطع الطريق على المزايدين، ثم أولئك الرجال الأوفياء، والأبطال البواسل في كافة القطاعـات الأمنية والعسـكرية في وزارة الداخلية وغيرها، الذين هم حماة الوطن، وحصون الثغور، والأعـين السـاهرة على أمـن هذا الوطـن ووحدته ومكتسـباته، أيدهـم الله بتأييـده، وحقق بهم ما يطمح إليه ولاة الأمر، ثم عموم الشعب الوفي الذي عاهد الله، ووفى ببيعته، حتى لا يدع فرصة لداعية سـوء أو فتنة، وأن يجعل مصلحة وطننا فوق كل اعتبار، ولعلني أستشـهد بما قاله خادم الحرمين الشريفين-أيـده الله- وهو يصـدر بعض القرارات المهمة في فترة مضت، حيث قال: «يعلم الله أنكم في قلبي أحملكم دائماً وأسـتمد العزم والعون والقوة من الله ثم منكم»، فهل بعد هذه المشاعر الصادقة المتبادلـة بين الراعي والرعيـة يحتاج المرء إلى دليل على ذلك.

-حقًا إنهـا ملحمة الوفـاء، والحـب والإخاء، جسدها مليكنا بهذه العبارات التي تتقاصر دونها كل الجمـل والأحـرف، وتتناثـر دونهـا كل المعاني البلاغية، ولا يملك المواطن إزاءها إلا أن يبادل المليك بها، ويشـهد اللـه على ذلك، ويحمـد الله جل وعلا أن أعلى مسؤول في هذه الدولة يحمل هذه المشاعر التي يحتل بها من مواطنيه سويداء قلوبهم، هذه شـواهد على مواقف ومبادرات ومنجزات رسـمت لوحة عـلى وجـه التاريخ المعـاصر لهـذه المملكة الغراء، تشهد بالحكمة والحنكة، وتفيض بالمعاني المعبرة عن اللحمة والوحدة.

ومـن هنـا فإننا عنـد الحديـث عـن المنجزات والمبـادرات في الشـأن الداخلي لمليكنـا المفدى يجد أن أعظمهـا وأوفاهـا ما يصب في خدمـة الثوابت، وحمايـة جنـاب الشريعـة، وتأكيد هـذه الأصول العظيمة، والأسس المتينة.

وأما في المجال العربي والإسلامي والعالمي فإنني أوجز مشاعري بأن أقول: هنيئًا لنا بخادم الحرمين، وإمـام المسـلمين، لقد مكـن لهذه البـلاد، وقادها بإقتـدار إلى الريادة والمثاليـة الطموحة، وإنجازات مليكنـا حديـث لايمل، ومعـين لا ينضـب، يوقفنا بتصرفاته ومباداراته على تمسكه بالإسلام وقيمة وأحكامه، والشعور بشـعور الجسد الواحد يجعل قضايا المسـلمين ومـا يحل بهم فـوق كل اعتبار، ويسـاهم ويشـارك بكل مـا أوتي من ثقـل وقوة عالمية ليوظف هذه المكانة في مشـاركة المسـلمين قضاياهـم ومعاناتهم، ومـا مواقفه الأخيرة تجاه ما حل بشـعب سوريا الشـقيق، وصراحته وقوته في الحـق، وتوظيـف المكانـة العالمية لهـذه الدولة المباركة عـبر المنظمات والهيئـات الدولية لإظهار صـوت الحـق والعـدل إلا شـاهد على مـا ذكرت، وهـا نحن نشـعر وبـكل فخـر واعتـزاز أن بلادنا الحبيبة، ووطن الإسـلام المبارك يفرض نفسـه في كل المحافل الدولية كرائد للسـلم والسلام، وقائدنا ومليكنا بمبادراتـه وحكمته وحنكته يجمع الأمم المتنافرة، لتعتمد الحوار الهادف، والقيم المشتركة، والعلاقات المبنية على التسامح والتشاور، فتختزل هذه المبادرة التاريخ التحديات والعقبات، وتجسد الطموحـات والآمـال واقعًـا حيًا، تقـوم على هذه الأسـس التـي ينطلـق فيها مـن ميزات الإسـلام وخصائصه وقيمة وثوابته، وتنبذ كل مظاهر الغلو والتطـرف، والإرهاب والإفسـاد، ويكون الخطاب الوسـطي هو الصورة المثالية التي تفرض نفسها كبديـل بطـرف النقيـض، فالحمد لله الـذي وفق خادم الحرمين الشريفين إلى مثل هذه المسـاهمات المؤثـرة، التي غيرت كثيرًا من المفاهيم والتصورات التي كان يحملها البعض عن الإسلام عمومًا، وعن بلاد الحرمين خصوصًا، ونسـأل الله سـبحانه أن يمكن لإمامنا وولي أمرنا، وأن يسـدد قوله وفعله، ويجعله من أنصار دينه وأعوانه، وممن يجدد الله بهم الدين في هذا العصر، كما نسـأله سـبحانه أن يحفظه بحفظه، ويكلأه برعايته، ويمده بعونه، وأن تمر علينا هـذه الذكرى أعوامًا عديدة، وأزمنة مديـدة، ووطننا إلى عـز وخير وتقدم، إنه سـميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

وصـلى الله وسـلم عـلى نبينا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية